

سَمَاعَاتُ الْمَوْطَاءِ فِي كِتَابِ رِيَاذِ النَّفُوسِ لِأَبِي بَكْرٍ الْمَالِكِيِّ - دَرَاْسَةُ تَحْلِيلِيَّة -

Samaat Al-Mowataa in the book 'Riyad Al-Noufous' for Abi bakr Al-maliki _ An analytical study

د. عمار بشيري

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف بميلة
bechiriammar@yahoo.frنصيرة مناصر¹طالبة دكتوراه في الدراسات اللغوية/ مختبر الدراسات التراثية
والثقافية بجامعة الإخوة منتوري 1 بقسنطينة
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف بميلة
n.menacer@centre-univ-mila.dz

تاريخ الوصول 2020/06/16 القبول 2021/08/05 النشر على الخط 2021/10/30

Received 16/06/2020 Accepted 05/08/2021 Published online 30/10/2021

ملخص:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها أول محاولة لاستخراج سماعات الموطأ من الإيحاءات والإشارات في كُتُب التَّراجم، وبالضبط من فُرُق استعمالات المصطلحات الحديثية؛ نحو: سمع من، وروى عن، وغيرها، وجاءت الإشكالية من ملاحظة دقيقة لترجمات تلاميذ عالم المدينة في كتاب رِيَاذِ النَّفُوسِ لِلْمَالِكِيِّ (ت بعد 453هـ)؛ خاصة في ظل الارتباط بين علم التَّراجم وعلم الحديث، وأن مالكا لم يكن يُسمع تلاميذه الموطأ وحده. وقد استند البحث أساسا على تحليل العبارات التي تفيّد السماع عن مالك، وخُصص إلى جملة من النتائج؛ أهمها:

- بيّن البحث أن استخدام المالكِي عبارة "سمع من مالك" تشمل سماع الموطأ.
- تخضع السماعات إلى برنامج وتنظيم يُحدده الشيخ؛ وأول سماعات مالك بن أنس الموطأ.
- وردت "روى عن مالك" عند المالكِي في حالة ورود احتمال أو شك في الرواية، أو لم يُعلم نوع الرواية على وجه التحديد، وحينما يكون في النص ما يدل على السماع.

وانتهى أيضا إلى نتائج أخرى تفصيلها في هذه الورقات.

الكلمات المفتاحية: كتاب رِيَاذِ النَّفُوسِ؛ السماع؛ الموطأ؛ تلاميذ مالك.

Abstract:

This research is the first attempt to extract "samaat Al-Mowataa" from the uses of phrases in the idiomatic language inside the book 'Riyad Al-Noufous' for Al-maliki; exactly from the differences uses of Hadith terminology: heard from Malik, narrated about Malik, and others. The problem is because Malik's disciples just did not heard Al-Mowataa.

The study reached a set of results. The most important is that using Al-maliki the phrase "heard from Malik" is benefit the hearing of Al-Mowataa, rather, it is the first in the arrangement of Malik hearing program.

Keywords: The book 'Riyad Al-Noufous'; Al-samaat; Al-Mowataa; Malik's disciples.

¹ المؤلف المرسل: نصيرة مناصر البريد الإلكتروني: n.menacer@centre-univ-mila

1. مقدمة:

اِسْتَعْنَتْ بِاللّهِ وَحْدَهُ، أَمَّا بَعْدُ:

ارْتَبَطَ عِلْمُ التَّرَاجِمِ فِي مَهْدِهِ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ اِرْتِبَاطًا وَثِيقًا، وَذَلِكَ نَتَاجًا لِحِرْصِ الْمُسْلِمِينَ بُعِيدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى تَنْقِيحِ الْمَصْدَرِ الثَّانِي مِنْ مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ وَصِيَّانَتِهِ مِنَ التَّزْوِيرِ وَالْكَذِبِ؛ اِعْتِمَادًا عَلَى مَعْرِفَةِ حَالِ نَقْلَةِ الْأَخْبَارِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ؛ فَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ؛ فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ؛ قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ؛ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدْعِ؛ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ» [رواه مسلم]، وَمِنْ هُنَا بَرَزَتْ فِي مُؤَلَّفَاتِ هَذَا الْفَنِّ مُصْطَلَحَاتٌ تُعَدُّ مِنَ الصَّنْعَةِ الْحَدِيثِيَّةِ؛ أَبْرَزُهَا تِلْكَ الَّتِي تُبَيِّنُ عِنَايَةَ الْمُتَرْجِمِينَ بِذِكْرِ شُيُوخِ الْمُتَرْجِمِ لَهُ وَتَلَامِيذِهِ؛ مِثْلُ: "رَوَى عَنْ"؛ أَوْ "رَوَى عَنْهُ"، وَ"سَمِعَ مِنْ"، أَوْ "سَمِعَ عَنْهُ" ... إلخ، وَقَدْ لَا يَسْتَرَعِي الْبَاحِثِينَ النَّظَرُ إِلَى هَذِهِ الْأَلْفَافِ مِنْ حَيْثُ اِلِاسْتِعْمَالُ عِنْدَ مَنْ عُنِيَ بِعِلْمِ التَّرَاجِمِ؛ إِلَّا نَاطَرُ تَعَامُلٍ مَعَ تَرَاوُجِ تَلَامِيذِ الْإِمَامِ مَالِكٍ فِي كِتَابِ "رِيَاضِ النَّفُوسِ" -وَاحِدٌ مِنْ أَوْسَعِ وَأَهَمِّ الْكُتُبِ الَّتِي تَرَجَمَتْ لِعُلَمَاءِ اِافْرِيقِيَّةِ-، مَعَ اِلِشَارَةِ إِلَى أَنَّ مَالِكًا لَمْ يُسَمِعْ تَلَامِيذَهُ اَلْمُوَطَّأَ فَقَطْ؛ وَهُوَ مَا كَانَ خَافِرًا إِلَى اِلِاسْتِشْكَالِ حَوْلَ سَمَاعَاتِ اَلْمُوَطَّأِ مِنْ بَاقِي السَّمَاعَاتِ؛ فَجَاءَ مَوْضُوعُ اَلْبَحْثِ مُعَنَوَنًا بِ: "سَمَاعَاتُ اَلْمُوَطَّأِ فِي كِتَابِ رِيَاضِ النَّفُوسِ لِأَبِي بَكْرٍ اَلْمَالِكِيِّ -دِرَاسَةٌ اَتَحْلِيلِيَّةٌ-"؛ مُحَاوَلَةً إِلَى تَحْلِيلِ اَلْعِبَارَاتِ الَّتِي تَفِيدُ السَّمَاعَ عَنْ مَالِكٍ، وَاسْتِخْرَاجِ دَلَالَتِهَا؛ وَمِنْهُ كَانَتِ اِلِاشْكَالِيَّةُ عَلَى اَلْوَجْهِ اَلْآتِي: مَا وَجْهُ دَلَالَةِ عِبَارَةِ اَلْمَالِكِيِّ عَلَى سَمَاعِ اَلْمُوَطَّأِ مِنْ مَالِكٍ؟.

وَارْتَأَيْتُ لِاِلِاجَابَةِ عَنِ اِلِاشْكَالِيَّةِ اِتِّبَاعَ مَسَارٍ يَتَضَمَّنُ اَلْعَنَاصِرَ اَلْآتِيَّةَ:

- مَنَهْجُ اَلْمَالِكِيِّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ النَّفُوسِ
 - تَعْرِيفُ السَّمَاعِ وَبَيَانُ اَلْفَاضِلِ عِنْدَ اَلْمُحَدِّثِينَ
 - جَدْوَلُ اِحْصَائِيٍّ لِعِبَارَةِ كِتَابِ رِيَاضِ النَّفُوسِ فِي بَيَانِ اَلرَّوَاةِ عَنْ مَالِكٍ وَتَحْلِيلِ مُعْطَيَاتِهِ
 - هَلْ عِبَارَةُ "سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ" تُشْمَلُ سَمَاعُ اَلْمُوَطَّأِ؟
- وَذَلِكَ لِتَحْقِيقِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ اَلْأَهْدَافِ:

- تَوْجِيهِ اَنْظَارِ اَلْبَاحِثِينَ إِلَى اِسْتِثْمَارِ دِرَاسَاتِهِمْ فِي كُتُبِ اَلتَّرَاجِمِ
- خِدْمَةُ اَلْمُوَطَّأِ وَمِنْهُ اَلْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ بَيَانِ طَرُقِ أُخْرَى لِاسْتِفَادَةِ رِوَايَةِ اَلْمُوَطَّأِ عَنْ مَالِكٍ، وَخِدْمَةُ دَلَالَةِ اَلْمِصْطَلَحِ اَلْحَدِيثِيِّ تَارِيخِيًّا، وَمُصْطَلَحَاتِ عِلْمِ اَلتَّرَاجِمِ أَيْضًا.
- تَقْدِيمُ كِتَابِ رِيَاضِ النَّفُوسِ إِلَى اَلْقَارِئِ اَلْعَرَبِيِّ، وَبَيَانُ مَا لَهُ مِنْ قِيَمَةٍ تَارِيخِيَّةٍ وَتَرْبَوِيَّةٍ.
- وَقَدْ اِعْتَمَدْتُ اَلْمَنَهْجَ اَلْوَصْفِيَّ لِيُوصَفَ كَلَامُ اَلْمَالِكِيِّ؛ وَاَلْيَتَّى اَلتَّحْلِيلُ لِتَحْلِيلِهِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ قُمْتُ بِاسْتِقْرَاءِ عَيْنَةِ اَلدِّرَاسَةِ فِي اَلْكِتَابِ، وَلَمْ أُتَرْجِمِ لِلْأَعْلَامِ مَنْ كَانَتِ تَرْجُمَتُهُ فِي اَلْكِتَابِ اَلْمَدْرُوسِ لِأَنَّهُ مِنْ صِنْفِ اَلتَّرَاجِمِ.
- وَلَمْ أَقِفْ عَلَى دِرَاسَةٍ سَبَقَتْ فِي هَذَا اَلْمَوْضُوعِ، لَكِنْ اَتَفَقْتُ إِلَى دِرَاسَةِ اَلْكِتَابِ مِنْ وَجْهَةٍ تَارِيخِيَّةٍ: عَلِي عَبْدُ السَّلَامِ سَعْدُ كَعْوَانِ فِي رِسَالَتِهِ لِطَوْرِ اَلدُّكْتُورَاهِ بِعَنْوَانِ: اَلْمَالِكِيُّ مُؤَرِّحًا، وَمِنْ وَجْهَةٍ اَنْثَرُولُوجِيَّةٍ: صَالِحِي سَمِيَّةُ فِي مَقَالٍ بِعَنْوَانِ: دِرَاسَةٌ لِلْمَوَالِيدِ وَاَلْوَفِيَّاتِ مِنْ خِلَالِ كُتُبِ اَلتَّرَاجِمِ -رِيَاضِ النَّفُوسِ اُمُودَجًا-

ولما وَجَدْتُ التَّأْلِيفَ فِي تَطَوُّرِ عِلْمِ التَّرَاجُمِ وَمَرَاجِلِهِ قَلِيلًا عِنْدَ الْمُعَاصِرِينَ وَالْقَدَمَاءِ مِنَ الْعَرَبِ — حَتَّى لَا تَكَادُ تَعُثَّرُ عَلَى مُؤَلِّفٍ؛ كَانَ جُلَّ اعْتِمَادِي عَلَى كِتَابِ التَّرَاجُمِ وَالسِّيَرِ لِمُؤَلِّفِهِ: مُحَمَّدِ عَبْدِ الْغَنِيِّ حَسَنٍ؛ وَهُوَ مِنْ أَهْمِّ مَا وُضِعَ فِي هَذَا الْبَابِ؛ وَإِنْ كَانَ شَأْنُهُ الْإِهْتِمَامُ بِالسِّيَرِ وَالتَّرَاجُمِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ أَسَاسًا.

2. مَنَهْجُ الْمَالِكِيِّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ النُّفُوسِ

لَا يَتَجَاوَزُ النَّظَرُ فِي أَيِّ كِتَابٍ تَفْخُصَ طَرِيقَةَ مُؤَلِّفِهِ فِي عَرْضِ الْمَادَّةِ وَبَيَانِ طَبِيعَةِ الْمَادَّةِ الْمُخْتَارَةِ وَمُمَيَّزَاتِهَا.

1.2 . مَنَهْجُ الْمَالِكِيِّ فِي تَرْتِيبِ الْكِتَابِ وَعَرْضِ الْمَادَّةِ:

رِيَاضُ النُّفُوسِ هُوَ اخْتِصَارٌ لِلْعُنُودِ الْكَامِلِ: رِيَاضُ النُّفُوسِ فِي طَبَقَاتِ عُلَمَاءِ الْقَيْرَوَانِ وَإِفْرِيقِيَّةِ وَزُهَّادِهِمْ وَنُسَّاكِهِمْ لِأَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ الْمَالِكِيِّ (ت بعد 453هـ).¹

وَيُمَثِّلُ أَهَمَّ حَلَقَةٍ مِنْ حَلَقَاتِ التَّأْلِيفِ فِي عِلْمِ التَّرَاجُمِ؛ وَهِيَ مَرَحَلَةُ التَّأْلِيفِ الْعَرَبِيِّ؛ وَأَيْضًا مِنْ جُمْلَةِ التَّرَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ التَّأْرِيخِيَّةِ الَّتِي تُقَابِلُ التَّرْجَمَةَ لِلذَّاتِ أَوِ السِّيَرَةَ الدَّائِيَّةَ، مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَتَرَكُوا نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ التَّرَاجِمِ لَمْ يُؤَلَّفُوا فِيهِ مُنْذُ عُسُورِ تَدْوِينِهِمْ الْأَوَّلِيِّ²؛ حَتَّى الْمَذْكُورَاتِ وَالْيَوْمِيَّاتِ وَالسِّيَرِ الدَّائِيَّةِ قَدْ وَرَدَتْ لَهَا نَمَازِجٌ مِنَ التَّأْرِيخِ الْإِسْلَامِيِّ؛ نَحْوُ: مُذَكَّرَاتِ أُسَامَةَ بْنِ مَنِقِدٍ (ت 584هـ) فِي كِتَابِهِ 'الاعتبار'³، لَكِنْ اخْتَلَفَتْ الْخَصَائِصُ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، وَبَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ.⁴

ثُمَّ قَدْ أُلْفَ كِتَابُ رِيَاضِ النُّفُوسِ اسْتِجَابَةً لَطَلَبِ بَعْضِ النَّاسِ؛ يَقُولُ الْمَالِكِيُّ عَنْ هَذَا، وَعَنْ مُحتَوَى الْكِتَابِ عُمُومًا: "فَقَدْ شَهِدْتُكُمْ سَأَلْتُمُونِي أَنْ أَجْمَعَ كِتَابًا أَذْكُرُ فِيهِ مَنْ كَانَ بِالْقَيْرَوَانِ وَإِفْرِيقِيَّةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَفَقِّهِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُبَادِ وَالْمُجْتَهِدِينَ، وَمَنْ كَانَ بِمَرَايِصِ إِفْرِيقِيَّةِ وَسَوَاحِلِهَا وَمَرَاسِيهَا وَخُصُوفِهَا مِنْهُمْ، فَاسْتَحَرْتُ اللَّهَ رَبِّي، وَاسْتَهْدَيْتُهُ، وَاسْتَعَنْتُهُ، وَذَكَرْتُ مَا بَلَغَنِي مِنْ أَحْبَارِ نُسَّاكِهِمْ، وَعُبَادِهِمْ، وَفَضَائِلِهِمْ، وَأَوْصَافِهِمْ، وَتَارِيخِ وَفَائِهِمْ؛ بِحَسَبِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمِي وَبَلَغَتْهُ مَعْرِفَتِي وَطَافَتِي وَرَأَيْتُ فِي جَمْعِ ذَلِكَ إِحْيَاءً لِذِكْرِهِمْ وَنَشْرًا لِفَضَائِلِهِمْ فَيَتَذَكَّرُ بِذَلِكَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَقْتَدِي مُقْتَدٍ وَمُزْدَجِرٌ"⁵، وَبَدَأَ فِي عَرْضِ كِتَابِهِ بِمَا جَاءَ فِي فَضْلِ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمُنَسْتِيرِ، وَذَكَرَ فَضْلَ الْقَيْرَوَانِ، وَبَنَاءَ مَسْجِدِهَا، وَالْوَلَاةِ الَّذِينَ تَعَاقَبُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ أَرَدَفَ ذَلِكَ بِذِكْرِ أَبْوَابِ التَّرَاجِمِ عَلَى الْوَجْهِ الْآتِي:

¹ لَمْ تُوردِ التَّرَاجِمُ كَثِيرًا مِنْ أَحْبَارِهِ، وَأَكْثَرُ مَا تَجَدَّ مِنْهَا فِي تَرَاجِمِ الْمُتَأَخِّرِينَ. ينظر: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدَّبَّاعُ، معًا في الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، د.ط، 1978م، 191/3_192. ويُنظر أيضًا: محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، 161/1. وأيضًا: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ/1985م، 246/4. وقد حاول صاحب كتاب 'رضى القدوس' استخراج بعض ملامح شخصيته استنادًا إلى كتابه، ينظر: محمد بن موسى الشريف، رضى القدوس هذيب رِيَاضِ النُّفُوسِ فِي طَبَقَاتِ عُلَمَاءِ الْقَيْرَوَانِ وَإِفْرِيقِيَّةِ، دَارُ إِحْيَاءِ حُنَيْنِ، جَدَّة، ط1، 1435هـ/2014م، ص8.

² يُنظر: محمد عبد الغني حسن، التَّرَاجُمُ وَالسِّيَرُ، دَارُ الْمَعَارِفِ، الْقَاهِرَةِ، ط3، د.ت، ص12.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ص24_27. وتُنظرُ تَرْجَمَةُ ابْنِ مَنِقِدٍ: شَهَابُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَاقُوتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرُّومِيُّ الْحَمَوِيُّ، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، 571/2_589.

⁴ يُنظر: المرجع نفسه، ص13_17.

⁵ أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رِيَاضُ النُّفُوسِ فِي طَبَقَاتِ عُلَمَاءِ الْقَيْرَوَانِ وَإِفْرِيقِيَّةِ وَزُهَّادِهِمْ وَنُسَّاكِهِمْ وَسِيَرِ مَنْ أَحْبَارِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ وَأَوْصَافِهِمْ، تح: بشير البَكُوش، دَارُ الْعَرَبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ/1994م، 4/1.

أ/ الطبقات: من الطبقة الأولى من علماء القيروان إلى الطبقة الخامسة، بعضها يُعْنَوْنُهُ والبعضُ يكتفي فيه بذكر رقم الطبقة؛ يليه مباشرة اسم أول مترجم له، وجعل الطبقة الأولى لعلماء القيروان من التابعين، وفق الترتيب الآتي:

- ذكر من دخل إفريقية من أصحاب النبي ﷺ ومن كان بعدهم بالسواحل والبلاد من الزهاد والعلماء والعباد ﷺ.
 - الطبقة الأولى من علماء القيروان: ذكر من دخل إفريقية وسكن القيروان وأوطانها من التابعين.
 - ذكر الطبقة الثانية من فقهاء مدينة القيروان وما يليها من البلدان ومحدثهم وعبادهم ونسألكم.
 - ذكر الطبقة الثالثة.
 - ذكر الطبقة الرابعة من فقهاء مدينة القيروان، وعبادها، وما يليها من بلدان إفريقية وغيرها ومحدثهم.
 - ذكر الطبقة الخامسة من علماء القيروان، وعبادها، وما يتصل بها من بعض مدنها، ومراسيها.
- ولم يلتزم في هذه الطبقات ولا في غيرها مما يأتي بالترتيب على الحروف ولا غيره.

ب/ السنين: بعد الطبقة الخامسة؛ عدل المالك إلى الترتيب على أساس سنة الوفاة؛ بدء من سنة أربع وثمانين ومائتين (284هـ)؛ أي أنه دمج بين طريقتين في كتابه. والطبقة في اصطلاح المحدثين¹: "قوم تقاربوا في السن والإسناد أو في الإسناد فقط بأن يكون شيوخ هذا هم شيوخ الآخر، أو يُقَارَبُوا شيوخه"²، وانتبه إلى إختلال قيد السن في هذا التعريف مثلما الحال عند الصحابي: أنس بن مالك (ت93هـ)؛ فهو صحابي عند الاعتداد بالاشتراك في الأخذ عن النبي ﷺ، وتابعي عند الاعتداد بالسن، وعلى هذا عدّه السيوطي من طبقتين، ولكنه لم يعلق فيما إذا تحقق تقارب السن دون القيود الأخرى³؛ وكان هذا مدخل اعتراض أحد الباحثين المعاصرين على بعض قيود هذا التعريف؛ مضيفاً أن الاستقراء يفيد أن من أهل العلم كأبي حاتم بن حبان (354هـ) يعدّ الصحابة جميعاً طبقة واحدة، والتابعين طبقة واحدة، وهكذا⁴.

وذهب إلى أن المحدثين يستخدمون مصطلح "طبقة" لتمييز طائفة من الرواة (أو العلماء) تعاصروا زمنًا كافيًا، وجمعت بينهم علاقة مكانية، أو علمية، أو قبلية ما⁵. وإختلف المصنفون في المقدار الزمني للطبقة بين من يجعل بين الطبقة والطبقة مائة سنة؛ ويعرف

¹ الحديث عن الطبقة في اصطلاح المحدثين بالذات لأن تقسيم التراجم إلى طبقات تقسيم إسلامي أصيل؛ ارتبط بمفهوم "الصحابة"، ثم ارتبط بعد ذلك بتقدير علم الحديث للإسناد. يُنظر: فرانز روزنتال، التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1403هـ/1983م، ص133-134.

² أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح: أبو فتيحة نظر محمد القاري، مكتبة الكوثر، الرياض، ط2، 1415هـ، 909/2.

³ يُنظر: المصدر نفسه، 910/2. وتُنظر ترجمه أنس بن مالك: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون ساغري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1402هـ/1982م، 3/395-406.

⁴ يُنظر: أسعد سالم تيم، علم طبقات المحدثين أهميته وفوائده، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1415هـ/1994م، ص7-8. ويُنظر ترجمه أبي حاتم في: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1409هـ/1989م، 26/112-115.

⁵ يُنظر: المرجع نفسه، ص7.

هذا عند المحدثين¹، وبين من يجعل بينهما عشر سنوات²، وبين من يذهب إلى غير ذلك³، وقد ورد غير بعيد حديث عن مذهب ابن حبان عن الحديث عن تعريف الطبقة؛ إذ مرجع التحديد في ذلك الاجتهاد ونظر المؤلف⁴.

فكيف هو نظر المالكي في تصنيفه؛ ليعدل إلى ذكر سنوات متفرقة بعد اعتماد الطبقات أساساً للتقسيم؟.

- سبقت الإشارة إلى كون المالكي قد ابتدأ في عدد الطبقات بالتابعين.

- في الطبقة الثالثة ذكر علماء القيروان الذين تتلمذوا على التابعين، وفي الطبقة الرابعة الذين تتلمذوا على هؤلاء التلاميذ، والخامسة مثلها على الذين يلونهم.

فالطبقة عنده إذن هي بالمفهوم ذاته عند ابن حبان؛ غير أنه لم يعد طبقة الصحابة، وإنما ذكرهم تمهيداً، وذلك ظاهر؛ فهم أول من كانوا بالقيروان معلمين لا طالين للعلم والرواية؛ فكانت التزم بموضوع كتابه. وأصحاب الطبقة الواحدة يتقاربون في الشيوخ؛ وقد يشترك بعضهم دون أن يعزل في طبقة خاصة، ويبدو ذلك جلياً في الطبقة الثالثة؛ إذ قسمها إلى ثلاثة أقسام:

✓ قسم جمع فيه أصحاب مالك؛ فهؤلاء تقاربوا في السن واشتركوا في الشيخ.

✓ قسم عنونه ب: ذكر من كان في هذه الطبقة من العلماء والمحدثين ممن لم يلق مالكا ولا روى عنه.

✓ قسم آخر عنونه ب: ذكر من كان في هذه الطبقة من المتعبدين والزهادين.

ومن يتتبع التراجم المذكورة في القسمين الأخيرين يجد بينها تقارباً في السن في كل طبقة؛ ويحرص المالكي على ذكر سن العالم الذي ترجم له متى تأتى له ذلك؛ مثلما في ترجمة أبي عبد الرحمن المسور بن مخزومة؛ إذ قال: "وكانت سن المسور يوم مات ثلاثاً وستين سنة"⁵؛ بل الملفت أنه في أكثر من موضع يعرب عنه بسن تربيته؛ نحو قوله في الترجمة لأبي علي شقران بن علي الفرضي: "وكان سنه نحو سن البهلول"⁶؛ يقصد البهلول بن راشد (ت183هـ)⁷، عدا عن تقارب الشيوخ كالثوري ومالك والأوزاعي وغيرهم.

أما الذين جعل ترتيبهم على سنة الوفاة؛ فالغالب أنه لم يذكر لهم شيوخاً، وربما توفّر في بعضهم قيود الطبقة مثلما في تلاميذ سحنون: أبو عثمان سعيد بن إسحاق الكلبي (ت294هـ)⁸، وأبو عبد الرحمن بكر بن حماد (ت296هـ)¹؛ لكن كأنه غلب هذا

¹ يُنظر مثلاً: أحمد بن محمد الأدنه وي، طبقات المفترين، تح: سليمان بن صالح الحزني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ/1997م، ص(8/د).

² يُعد النموذج في هذا عند الباحثين: كتاب تاريخ الإسلام للذهبي، ينظر: فرانز روزنتال، مرجع سابق، ص133، وأيضاً: . وينظر النظام العام للكتاب: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مصدر سابق.

³ يُنظر: محمد بن علي بن قاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، 1125/2.

⁴ يُنظر: أسعد سالم تيم، مرجع سابق، ص9.

⁵ المالكي، مصدر سابق، 69/1-70.

⁶ المصدر نفسه، 312/1.

⁷ يُنظر ترجمته: المصدر نفسه، 200/1-214.

⁸ يُنظر: المصدر نفسه، 12/2.

النوع من الترتيب لأن اشتراكهم في سنة الوفاة أكثر؛ فمن أفردته تحت سنة وفاته قليل، وأيضاً حتى لا يطول تسلسل الطبقات، أو يضطر لحذف التراجم ما لا يصلح أن يكون طبقة، وهو ما يؤكد عنوان الكتاب؛ إذ قصد أن يجعل منه رياضاً غنياً للنفوس في بابه؛ فجاء على ذكر ما ذكر غيره وزيادة؛ وهذا تفصيله في العنصر الآتي: انفرادات المالك في الترجمة.

2.2 منهج المالك في عرض ترجمة العلم

يمكن بيان منهج كتاب رياض النفوس في الترجمة استناداً إلى العناصر الآتية:

- ملامح عامة
- انفرادات المالك في الترجمة
- أ/ ملامح عامة:

إن كتب التراجم الإسلامية عامة تبدأ عادةً بذكر ولادة المترجم له، وتنتهي بذكر وفاته، وفي كثير من الأحيان يُذكر تاريخ الميلاد والوفاة في بداية الترجمة، وقد تبدأ بذكر ملاحظات على النسب؛ إذا كان عريقاً، أو تذكر بعض الملاحظات اللغوية من نحو: ضبط اسم المترجم له، أما بقيته محتويات الترجمة؛ فهي متنوعة ومتباينة²، لكن الناظر في رياض النفوس قد يتبادر إلى ذهنه للمرة الأولى أن مؤلفه لا يُراعي نظاماً محدداً في ترتيب معلومات الترجمة؛ فأحياناً يبدأ بذكر الولادة أو تاريخها كما في ترجمة عبد الله بن الزبير³؛ وأحياناً يبدأ بذكر نسبه كما في ترجمة حبان بن أبي حيلة القرشي⁴، وأحياناً أخرى بالرواية، أو الصحبة، أو غير ذلك. ومرجع الدقة أن يتتبع الناظر ويُقارن مواضع المعلومات والأخبار التي يحرص على إيرادها أولاً في كل مرة؛ وما يغلب منها ويتكرر، فيلاحظ أنه إنما يختار لكل نوع ترجمة ما يناسبه من البدايات؛ حيث كان يقتضي ذكر الترجمة تحت قسم الطبقات التركيز على الرواية والسنن والشيوخ، لذلك لم تخلُ ترجمة في بدايتها من ذلك حتى إن لم تكن أول ما استهل به، وكذلك في القسم الذي خصصه لمن دخل القبروان من الصحابة؛ فإنه يذكر صحبته بالفاظ من نحو: له صحبة، أو كان معوداً في جملة الصحابة، أو صحب النبي ﷺ، ... إلخ، أو يذكر ما يُفيد الصحبة، أو يشبهها بنقل أو غيره؛ مثلما في ترجمة أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر التي افتتحها بقوله: "أسلم بإسلام أبيه عمر رضي الله تعالى عنه بمكة وهو صغير، وشهد معه بدرًا وأحداً، هكذا قال ابن قتيبة"⁵؛ فذكر ما يُفيد الصحبة نقلاً عن ابن قتيبة (ت276هـ)، ولما جاء إلى القسم الآخر حيث التفسير على سنة الوفاة؛ صار الحرص على الافتتاح بذكر يوم الوفاة، أو شهرها وما كان من شأنها؛ إلا إذا لم يعلم منها؛ فيبدأ بغير هذا كالرواية ونحوها، وقد

¹ يُنظر: المصدر نفسه، 21/2.

² يُنظر: فرائز روزنتال، مرجع سابق، ص 144.

³ يُنظر: المالك، مصدر سابق، 63/1.

⁴ يُنظر: المالك، المصدر السابق، 111/1.

⁵ المصدر نفسه، 61/1. ويُنظر قول ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط4، د.ت، ص185. ويُنظر ترجمته ابن قتيبة: يافوت الحموي، مصدر سابق، 293/1_294.

* عبارة ذكرها صاحب الجهرة شرحاً للمثل العربي: "الحديث ذو شجون"، ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن زريد، جهره اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، 478/1، مادة [ش ج ن].

ولهذا المثل قصته، ينظر: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المبدئي، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1374هـ/1955م، 195/1-196. وأيضاً: أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر الرمخشري، المستقصى في أمثال العرب، مطبعة مجلس المعارف، حيدر آباد، الهند، ط1، 1381هـ/1962م، 169_168/1، 310/1.

لا يَحْصُرُ كُلَّ حَدِيثِهِ عَمَّا كَانَ مِنْ وَفَاتِهِ فِي الْبِدَايَةِ؛ فَتَجِدُ بَعْضُهُ فِي الْحَاقَةِ، وَتُمْكِنُ تَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأَنَّ "الْكَلَامَ يَجُزُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"؛^{*} فَيَعْرِضُ لِلْكَاتِبِ فِي عَجْزِ الْكَلَامِ مَا لَا يَكُونُ فِي أَوَّلِهِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمَالِكِيَّ لَمْ يَلْزِمُ نَفْسَهُ خَاتِمَةً مُعَيَّنَةً لِلتَّرْجَمَةِ.

وَمِنْ الْمَلَامِحِ الْعَامَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ خِصَائِصِ كُتُبِ التَّرَاجِمِ تَبَايُؤُ التَّرْجَمَاتِ فِي هَذَا الْكِتَابِ بَيْنَ الْقَصْرِ وَالطُّوْلِ، فَبَعْضُهَا لَا يَتَجَاوَزُ السَّطْرَيْنِ مِثْلَمَا فِي تَرْجَمَةِ الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنِ الْحَزْزُومِيِّ (لَمْ أَفِ عَلَى سَنَةِ وَفَاتِهِ)¹، وَبَعْضُهَا يَصِلُ إِلَى تِسْعِ عَشْرَةِ صَفْحَةٍ مِثْلَمَا فِي تَرْجَمَةِ أَسَدِ بْنِ الْفَرَاتِ (ت 213هـ)².

ب/ انفرادات المالكِي في التَّرجمة

تَمَيَّزَ الْمَالِكِيُّ فِي جَانِبِ التَّرجمة مِنْ حَيْثُ:

- عَدَدُ التَّرْجَمِ لَهُمْ

- طَبِيعَةُ التَّرْجَمِ

أَمَّا الْأَوَّلُ؛ فَإِنَّ تَسْمِيَةَ الْكِتَابِ بِـ "رِيَاضِ النَّفْسِ" تُوجِي بِهِ، وَقَدْ وَفَّرَ مُحَقِّقُ الْكِتَابِ عَلَى الْقَارِئِ الْمَدَقَّقِ هَذِهِ الْإِتِفَاتِ الْمُمَيَّزَةِ؛ إِذْ يُنَبِّهُ عَلَى التَّرْجَمَاتِ الَّتِي انْفَرَدَ الْمَالِكِيُّ بِذِكْرِهَا، وَقَدْ أَحْصَيْتُ جُمْلَةً مِمَّا ذَكَرَ فِيهِ: "لَمْ يَتَرَجَّمْ لَهُ غَيْرُ الْمَالِكِيِّ"، أَوْ "انْفَرَدَ الْمَالِكِيُّ بِذِكْرِهِ أَوْ" لَمْ تَذْكُرْهُ الْمَصَادِرُ فِي طَبَقَاتِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَعُلَمَائِهَا"، أَوْ شَبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْفَاظِ؛ فَبَلَغَ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعِينَ (43) عِلْمًا، زِيَادَةً عَلَى ثَرَاءِ الْكِتَابِ فِي عُمُومِهِ بِالتَّرْجَمِ.

وَأَمَّا طَبِيعَةُ التَّرْجَمِ؛ فَمِنْ عِدَّةِ أَوْجُهٍ؛ أُبْرِزَهَا³:

- أَنَّ مُعْظَمَ قِصَصِ وَأَخْبَارِ التَّرَاجِمِ الْوَارِدَةِ جَدِيدَةٌ عَلَى أَكْثَرِ الْقُرَّاءِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّرَاجِمَ الْمَغْرِبِيَّةَ تَخْفِي أَكْثَرَ تَفَاصِيلِهَا وَدَقَائِقِهَا؛ فَلَا تَكَادُ تُعْرَفُ.

- جَاءَ الْكِتَابُ حَاقِيًا لِتَرَاجِمِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى، وَالتَّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ تِلْكَ الْقُرُونُ هِيَ الْمَفْضَلَةُ وَأَهْلُهَا خَيْرُ النَّاسِ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]

- تَحْتَوِي التَّرَاجِمُ أَخْبَارًا كَثِيرَةً عَنِ الزُّهْدِ وَالتَّقْوَى وَالرَّفَائِقِ الَّتِي لَمْ تَخْلُطْ بِتَرَاهَاتِ الصُّوفِيَّةِ الْعَالِينَ، وَشَطَحَاتِهِمْ، وَغُمُوضِهِمْ، وَعَجَائِبِهِمْ؛ فَإِنَّمَا هِيَ تَرَاجِمٌ عَلَى نَهْجِ تَرَاجِمِ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ الَّتِي يَسْتَشْفِي بِهَا الْمَرُءُ مِنْ أَمْرَاضِ السُّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ وَيَرْتَقِي بِهَا إِلَى طَاعَةِ الْخَلَّاقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إِنَّ هَذَا الْمُبْحَثَ ضَمَّ مَجْمُوعَةً مِنَ الْمَفَاهِيمِ التَّمْهِيدِيَّةِ الْمُهَيِّمَةِ فِي هَذَا الْمُبْحَثِ؛ وَهِيَ مُجْمِلُهَا تَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ التَّعْرِيفِ بِالْكِتَابِ، وَمَنْهَجِ الْكَاتِبِ، وَأَهَمُّ مَا جَاءَ فِيهِ:

- الْكِتَابُ ذِكْرٌ لِأَخْبَارِ الْقَيْرَوَانِ وَإِفْرِيقِيَّةٍ؛ نَسَاكِهَا، وَعِبَادَتِهَا، وَفَضَائِلِهِمْ، وَأَوْصَافِهِمْ، وَتَارِيخِ وَفَاتِهِمْ.

- الْكِتَابُ مُرْتَّبٌ عَلَى نَوْعَيْنِ مِنْ أَنْوَاعِ تَرْتِيبِ التَّرَاجِمِ:

التَّرْتِيبُ عَلَى الطَّبَقَاتِ وَالتَّرْتِيبُ عَلَى السَّنَوَاتِ

¹ يُنْظَرُ: الْمَالِكِيُّ: مَصْدَرُ سَابِقٍ، 86/1.

² يُنْظَرُ: الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 273_254/1.

³ يُنْظَرُ: مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الشَّرِيفِ، مَرْجِعُ سَابِقٍ، ص 3_5.

- الطَّبَقَةُ تَقْسِيمٌ إِسْلَامِيٌّ أَصِيلٌ؛ بَدَأَ مِنْ مَفْهُومِ "صَحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْخَدَثِينَ وَغَيْرِهِمْ.
 - اِخْتَلَفَ الْتَّفَادُ فِي التَّقْدِيرِ الدَّقِيقِ لِمَفْهُومِ الطَّبَقَةِ وَطُولِ زَمَنِهَا، وَقَدْ خَضَعَتْ عِنْدَ الْمَالِكِيِّ لِلتَّحْدِيدِ الْجُغَرَايِيِّ لِكِتَابِهِ وَفَقًا لِمَا يُظْهَرُ الْعُنْوَانُ؛ فَبَدَأَ بِطَبَقَةِ التَّابِعِينَ لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ حَقَّقَ شُرُوطَ الطَّبَقَةِ فِي إفْرِيقِيَّةٍ وَالْقَيْرَوَانِ.
 - يَحْرِصُ الْمَالِكِيُّ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْأَصْنَافِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ عَلَى الْاِفْتِتَاحِ بِمَا يُنَاسِبُهَا نَحْوُ الْاِبْتِدَاءِ بِالصَّحْبَةِ فِي صِنْفِ الصَّحَابَةِ، وَالرَّوَايَةِ فِي صِنْفِ الطَّبَقَاتِ، وَهَكَذَا.
 - لَمْ تَخْتَلِفِ الْمَلَامِيخُ الْعَامَّةُ لِتَرَاوُجِ الْكِتَابِ عَنْهَا فِي كُتُبِ التَّرَاوُجِ الْأُخْرَى؛ غَيْرَ أَنَّهَا أَبْرَزَتْ انْفِرَادَ الْمَالِكِيِّ فِي:
 - ✓ زِيَادَةِ أَسْمَاءٍ لَمْ يُتَرَجَمَ لَهَا مِنْ قَبْلِ.
 - ✓ إِثْرَاءِ تَرْجَمَاتٍ شَحَّتْ فِيهَا أَمَادَةُ فِي الْمَصَادِرِ الْأُخْرَى.
 - ✓ طَبِيعَةُ التَّرَاوُجِ؛ كَوْنُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَخَالِيَةٌ مِنَ الْقَدَحِ وَالْعُلُوِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.
 - وَبِذَلِكَ جَاءَتْ تَسْمِيَةُ "رِيَاضِ النَّفُوسِ" مُطَابِقَةً لِمَا فِي الْكِتَابِ.
- ### 3. تَعْرِيفُ السَّمَاعِ وَبَيَانُ الْفَاضِلِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ:
- لُغَةً:

"السَّمْعُ: الْأُذُنُ، وَهِيَ الْمُسْمَعَةُ، وَالْمُسْمَعَةُ خَرْقُهَا، وَالسَّمْعُ مَا وَقَرَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ يَسْمَعُهُ. يُقَالُ: أَسَاءَ سَمْعًا؛ فَأَسَاءَ جَابَةً، أَي: لَمْ يَسْمَعْ حَسَنًا؛ فَأَسَاءَ الْجَوَابَ. وَتَقُولُ: سَمِعْتُ أُذُنِي زَيْدًا يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، أَي: سَمِعْتُهُ، كَمَا تَقُولُ: أَبْصَرْتُ عَيْنِي زَيْدًا يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا، أَي: أَبْصَرْتُ بَعَيْنِي زَيْدًا وَالسَّمَاعُ مَا سَمِعْتَ بِهِ فَشَاعَ"¹. وَفِي تَهْذِيبِ اللَّغَةِ: "السَّمَاعُ: اسْمٌ مَا اسْتَلَذَّتِ الْأُذُنُ مِنْ صَوْتٍ حَسَنٍ"²؛ فَالسَّمْعُ يُطْلَقُ عَلَى الْأَلَةِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى السَّمَاعِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ: مَا وَقَرَ فِي الْأُذُنِ عُمُومًا؛ فَخَرَجَ بِهَذَا: مَا لَا يَقَرُّ فِي الْأُذُنِ وَلَا يَثْبُتُ لِانْصِرَافِ ذَهْنٍ أَوْ غَيْرِهِ. وَيُحْمَلُ تَقْيِيدُ الْأَزْهَرِيِّ عَلَى الدُّوقِ الْحَسَنِيِّ لِلأُذُنِ؛ أَي أَنَّ الْأَصْوَاتَ تَرُدُّ إِلَيْهَا؛ فَتَسْتَلِذُّ بَعْضُهَا؛ فَيَثْبُتُ، وَتَنْفَرُ مِنْ بَعْضِهَا وَتَسْتَنْكِرُهَا؛ فَتَرُدُّهَا. فَالسَّمَاعُ لُغَةً هُوَ مَا وَقَعَ فِي الْأُذُنِ مِمَّا تَقْبَلُهُ. وَيُفَرَّقُ بَيْنَ السَّمَاعِ وَالْإِنْصَاتِ وَالِاسْتِمَاعِ بِفُرُوقٍ دَقِيقَةٍ³:

¹ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ، الْعَيْنُ، تَح: مَهْدِي الْمَخْزُومِي وَإِبْرَاهِيمُ السَّامِرَائِيُّ، دَارُ وَمَكْتَبَةُ الْهَيْلَالِ، د.ط، د.ت، 348/1، مَادَّةُ [س م ع]. وَقَوْلُهُ: "وَالسَّمَاعُ مَا سَمِعْتَ بِهِ فَشَاعَ" فِيهِ بَحْثٌ؛ إِذْ قَالَ فِي مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنْهُ: "وَسَمِعَ بِهِ تَسْمِيْعًا إِذَا نَوَّهَ بِهِ فِي النَّاسِ". الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 349/1. فَسَمِعَ تَسْمِيْعًا، وَقَالَ صَاحِبُ التَّهْذِيبِ: "وَالسَّمَاعُ أَيْضًا مَا سَمِعْتَ بِهِ فَشَاعَ وَتَكَلَّمَ بِهِ". أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيُّ الْهَرَوِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، تَح: مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ النَّجَّارُ، دَارُ الْمَصْرِئَةِ لِلتَّأْلِيفِ وَالتَّرْجَمَةِ، د.ط، د.ت، 123/2، مَادَّةُ [س م ع]. وَيُمْكِنُ تَخْرِيجُهُ مِنْ جِهَةٍ أَنَّ الْأَوَّلَ يُرَادُ مِنْهُ: سَمِعْتَ بِهِ تَسْمِيْعًا؛ فَصَارَ سَمَاعًا لِأَنَّ النَّاسَ سَمِعْتَ بِهِ، وَفِي الثَّانِي: سَمِعْتَ بِهِ لِمَا كَانَ قَدْ ذَاعَ وَانْتَشَرَ.

² الْأَزْهَرِيُّ، الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، الْصَفْحَةُ نَفْسُهَا.

³ يُنْظَرُ: أَبُو هَالَلٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَهْرَانَ الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ الْعَلَوِيَّةُ، تَح: مُحَمَّدٌ إِبْرَاهِيمُ سَلِيمٌ، دَارُ الْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الْقَاهِرَةُ، د.ط، د.ت، ص 89.

الجدول 1: أفرق بين المصطلحات: السَّماع والإنصَات والاستِماع

اللفظة	القيد المميز	تحقق إدراك المسموع مطلقاً	طلب الإدراك بالميل والتّركيز	الاستفادة من المسموع
السَّماع	✓			
الإنصَات		✓		
الاستِماع	✓	✓	✓	✓

المصدر: من إنجاز المؤلف

إصطلاحاً:

السَّماع طريق من طرق التَّحْمِلِ وأخذ الحديث عند المُحدِّثين¹، "وهو أرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين، ولم يره جماعة من الحجازيين أرفع وسوّوا بينه وبين القراءة والعرض على العالم وروي هذا عن مالك وحكاؤه عن أئمة المدينة وروي عنه أيضاً وعن غيره أن القراءة على الشيخ أعلى مراتب الحديث"²، ولذلك قال عنه العراقي في ألفيته³:

أعلى وجوه الأخذ عند المعظم — وهي ثمان — لفظ الشيخ فاعلم
وهو عند المُحدِّثين قسمين على نحو ما يوضّحه المخطّط الآتي⁴:

¹ ينظر: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى القاضي اليحصبي السببي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1389هـ/1970م، ص68. وينظر أيضاً:

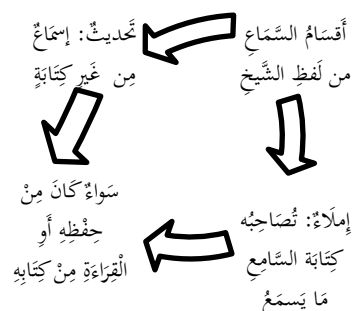
عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي أبو سعد، أدب الإملاء والاستملاء، تح: أحمد محمد عبد الرحمن محمد محمود، مطبعة المحمودية، ط1، 1414هـ/1993م، 1/121-121.

² أبو الفضل القاضي عياض، مصدر سابق، ص69.

³ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، ألفية العراقي، تح: العربي الدائر الفرياطي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1428هـ، ص125.

⁴ تم إنجاز المخطّط اعتماداً على: أبو الفضل القاضي عياض، مصدر سابق، الصفحة نفسها. وسيد عبد الماجد الغوري، معجم المصطلحات الحديثية، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م، ص402. ويُنظر أيضاً: القاضي زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي، فتح الباقي بشرح ألفية العراقي، تح: عبد اللطيف الهويم وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ/2002م، 1/359-360. وفيه بيان فضل الإملاء على التحدّث.

الشكل 1: أقسام السماع من لفظ الشيخ



المصدر: من إنجاز المؤلف

وتبرز دلالة السماع في اصطلاح المحدثين بالفاظ مخصوصة؛ وهي: سمعت، أو سمعنا، وحدثن، أو حدثنا، وأنبأنا، وأخبرنا، وغيرها، وتتفاوت مراتبها عند النقاد¹.

خاتمة تجدر الإشارة إلى أن هذا البحث قد ركز على سماعات الموطأ؛ لذلك قام على استقراء الأعلام الذين صرح صاحب كتاب رياض النفوس بأنهم سيعوا عن مالك في العنصر المولي.

4. تحليل العبارات التي تفيد بيان الرواة عن مالك في كتاب 'رياض النفوس':

الجدول 2: جدول إحصائي للعبارات التي تفيد بيان الرواة عن مالك في كتاب 'رياض النفوس'

العبارة أو النص	المترجم له	صفحة الكتاب
"... فسمع من جماعة من العلماء؛ منهم: زكرياء بن أبي زائدة - تابعي، ومالك، وسفيان الثوري، وغيرهم...."	أبو محمد عبد الله بن فروخ	177
".... سمع من مالك والليث وسفيان والشارح وبهان ويونس بن يزيد...."	البهلول بن راشد الحجري الرعيي	200
"وصاحب مالك بن أنس [...]؛ روى عنه وعليه معتمده..."	أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم	215
"وذكر أن عثمان حاتم بن عثمان المعافري كان صديقاً لابن غانم، وكان قد رحل معه إلى مالك وسمع منه..."	بن شريحيل بن ثوبان الرعيي	221
"قال أبو العرب ² : سمع من مالك؛ وهو من طبقة البهلول..."	سقلاب بن زياد الهذلي	230
"ذكر أبو إسحق بن شعبان القرطبي ³ أنه روى عن مالك رحمه الله"	أبو عون معاوية بن الفضل الصمادحي	231
"سمع من مالك ومن ابن أنعم"	أبو عثمان بن حاتم بن عثمان المعافري	232

¹ يُنظر: القاضي عياض، مصدر سابق، ص 69_70. ويُظر أيضاً: محمد بن إبراهيم الوزير: المختصر في علوم الحديث، نج: أبو محمد عبد الله بن لمح أخولاني، دار الإمام أحمد، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط 1، 1436هـ/2011م، ص 99.

² يُنظر ترجمة أبي العرب: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، 395_394/15.

³ يُنظر ترجمة ابن شعبان: المصدر نفسه، 79_78/16.

234	أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ زِيَادِ الْعَبْسِيِّ التُّوسِي	"أَبُو الْعَرَبِ قَالَ: كَانَ ثِقَّةً مَأْمُونًا، مُتَعَبِّدًا، بَارِعًا فِي الْفَقْهِ، <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> وَالتَّوْرِيِّ وَاللَّيْثِ وَابْنِ هُبَيْرَةَ..."
240	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي غَسَّانٍ	"قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> وَأَعْرَبَ عَنْهُ بِحَدِيثٍ مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَيْرَهُ رَوَاهُ عَنْهُ..."
241	أَبُو خَارِجَةَ عَنَسَةُ بْنُ خَارِجَةَ الْعَافِقِيُّ	"قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: لَهُ سَمَاعٌ مِنْ مَالِكٍ وَمِنْ التَّوْرِيِّ..."
247	عُمَرُ بْنُ الْحَكَمِ اللَّحْمِيُّ	" <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> وَكَانَ ثِقَّةً"
248	أَبُو الْقَاسِمِ الزَّوَاوِيُّ	قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> ، وَرَوَى عَنْهُ حَدِيثًا لَمْ أَعْلَمْهُ رَوَاهُ عَنْهُ غَيْرُهُ...
	أَبُو الْوَلِيدِ عَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الْفَارِسِيُّ	"... وَذَكَرَ ابْنُ شَعْبَانَ أَنَّهُ لَقِيَ مَالِكًا وَرَوَى عَنْهُ..."
251	أَبُو الْخَطَّابِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْكِنْدِيُّ	"قَالَ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ¹ : رَوَى عَنْ مَالِكٍ وَاللَّيْثِ وَابْنِ هُبَيْرَةَ وَابْنَ أَنْعَمَ"
252	أَبُو مَسْعُودٍ الْعَبَّاسُ بْنُ أَشْرَسَ الْأَنْصَارِيُّ	" <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> ..."
253	أَبُو طَالِبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ الْأَبْرَارِيُّ الْمُعَاوِيَّ	"قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: كَانَ رَجُلًا صَالِحًا، <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> وَمِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرْوخٍ"
	عُمَرُ بْنُ سَمَكٍ بْنُ حَمِيدٍ	"رَوَى عَنْ مَالِكٍ..."
255	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَسَدُ بْنُ الْفَرَاتِ بْنِ سِنَانَ	"وَسَمِعَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ زِيَادِ الْمُوْطَّأِ [...] ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَلَقِيَ مَالِكًا وَوَاطَبَ عَلَيْهِ وَطَلَّبَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ؛ وَسَمِعَ مِنْهُ الْمُوْطَّأُ"
282	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ زُرَّارَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ	"رَوَى عَنْ مَالِكٍ وَابْنِ فَرْوخٍ وَاللَّيْثِ"
283	أَبُو الْحَجَّاجِ رِثَاخُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَرْدِيُّ	
284	أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَسَنَانَ الْيَحْصَبِيُّ	" <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> وَابْنِ أَبِي ذَنْبٍ"
290	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْخَضْرَمِيُّ	" <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> مُوْطَّأً"
	الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْقَفْصِيُّ	"قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: إِنَّهُ <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> ، وَكَانَ ثِقَّةً"
291	عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ الْمُسْتَنِيرِ الْجَزْرِيُّ	"قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: رَوَى عَنْ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ"
292	عَلِيُّ بْنُ يُونُسَ بْنِ عِمَاضٍ الْبَيْهَقِيُّ	" <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> وَابْنِ عُيَيْنَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ بِنِ اسْلَمَ"
323	أَبُو بَزِيدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ الْأَنْصَارِيُّ	"قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: [...] <u>سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ</u> وَالتَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَسَمِعَ مِنْهُ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ..."

المصدر: من إنجاز المؤلف

استنادا إلى الجدول السابق؛ نلاحظ أن الرواية عن مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَدْ وَرَدَتْ بِالْفَاظِ: "سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ" و"لَهُ سَمَاعٌ مِنْ مَالِكٍ" و"رَوَى عَنْ مَالِكٍ".

¹ ينظر ترجمة أَبِي سَعِيدٍ: المصدر نفسه، 579_578/15.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ "سَمِعَ مِنْ" أَخْصُ مِنْ "رَوَى عَنْ" لِأَنَّ الرِّوَايَةَ تَشْمُلُ السَّمَاعَ عَلَى مَا مَرَّ بَيَانُهُ فِي تَعْرِيفِ السَّمَاعِ، وَفِي كِتَابِ رِيَاضِ النَّفُوسِ؛ لَدَيْنَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي الْجَدُولِ؛ فَتَقُومُ بِتَحْلِيلِهَا لِنُوضِّحَ مَسْلَكَهُ فِي اسْتِخْدَامِ الَّلَفْظَتَيْنِ:

جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ غَانِمٍ فِي الْجَدُولِ السَّابِقِ: "وَصَاحِبُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ [...]؛ رَوَى عَنْهُ وَعَلَيْهِ مُعْتَمَدُهُ..."، فَقَالَ: "رَوَى"؛ وَهَذَا عَامٌّ -وَلَمْ يَقُلْ "سَمِعَ"- ثُمَّ نَجِدُ صَاحِبَ الْكِتَابِ يَذْكُرُ فِي التَّرْجَمَةِ ذَاتَهَا: "وَكَانَ مَالِكٌ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ غَانِمٍ وَقَتَ سَمَاعِهِ أَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ..."¹؛ وَهَذَا يُفِيدُ تَحَقُّقَ اللَّقَاءِ، وَقَوْلُهُ: "وَقَتَ سَمَاعِهِ أَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ"؛ يَفِيدُ التَّلَقِّيَ عَنْ مَالِكٍ، فَلَا أَصْلَ أَنْ يُقَالَ: "سَمِعَ"؛ لَكِنَّ الْمَوْلَفَ لَمْ يُدَقِّقْ إِطْلَاقَ الَّلَفْظِ، أَوْ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ "سَمِعَ" وَ"رَوَى"؛ لِأَنَّ الْحَالَ تَدُلُّ عَلَيْهِ.

وَفِي تَرْجَمَةِ أَبِي الْوَلِيدِ الْفَارِسِيِّ: "وَذَكَرَ ابْنُ شَعْبَانَ أَنَّهُ لَقِيَ مَالِكًا وَرَوَى عَنْهُ"؛ وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا سَمَاعٌ؛ لَكِنَّهُ عَرَّبَ بِاللَّفْظِ الْعَامِّ لِأَنَّهُ ذَكَرَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ: "لَقِيَ".

وَفِي تَرْجَمَةِ الْبَهْلُولِ بْنِ رَاشِدٍ: "... سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ وَاللَّيْثِ وَسُفْيَانَ وَالْحَارِثَ وَنُبَهَانَ وَيُونُسَ بْنَ يَزِيدٍ....."، وَهَذَا فِي تَرْجَمَتِهِ لِلْبَهْلُولِ بْنِ رَاشِدٍ؛ فَقَالَ: "سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ"، ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ بَعْدُ: "وَرَوَى عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ الْقَعْنَبِيُّ وَرَوَى عَنْهُ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ"².

فَقَالَ: "سَمِعَ" مَرَّةً وَ"رَوَى" مَرَّةً؛ فَرَبَّمَا هَذَا مِنْ جِنْسٍ مَا عِنْدَ أَبِي الْعَرَبِ فِيمَا يَرَوِيهِ عَنْهُ الْمَالِكِيُّ؛ وَقَدْ سَبَقَ فِي الْجَدُولِ -حِينَ تَرْجَمَ لِأَبِي الْقَاسِمِ الزَّوَاوِيِّ: "قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ، وَرَوَى عَنْهُ حَدِيثًا لَمْ أَعْلَمْهُ رَوَاهُ عَنْهُ غَيْرُهُ..."، فَاسْتَعْمَلَ "رَوَى" حِينَ تَحَدَّثَ عَنْ تَفَرُّدِهِ بِهِ؛ كَأَنَّهُ يُوجِي بِالِاحْتِمَالِ وَالشَّكِّ؛ لِذَلِكَ قَالَ فِي نَصِّ آخَرٍ نَقَلَهُ عَنْهُ صَاحِبُ الرِّيَاضِ عِنْدَ التَّرْجَمَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي غَسَّانٍ: "سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ، وَأَغْرَبَ عَنْهُ بِحَدِيثٍ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا رَوَاهُ عَنْهُ"³، فَلَمَّا "أَغْرَبَ الرَّجُلُ" قَالَ: "رَوَى".

وبالتالي؛ مُحْصَلُ مَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْمَالِكِيَّ يَقُولُ "رَوَى":

- حِينَمَا يَكُونُ فِي النَّصِّ مَا يَدُلُّ عَلَى السَّمَاعِ.

- حِينَمَا يَرِدُ احْتِمَالٌ أَوْ شَكٌّ فِي الرِّوَايَةِ

وَقَدْ يَكُونُ مَفِيدًا أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ الْمَالِكِيَّ يَكْتَفِي أحيانًا بِذِكْرِ الصَّحْبَةِ؛ نَحْوَ مَا نَجِدُ فِي تَرْجَمَةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَكَمِ التَّجِيبِيِّ؛ قَالَ: "ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ فَهْرٍ فِي جَمَاعَةِ أَصْحَابِ مَالِكٍ"⁴، وَهَذَا نَقْلٌ مَا بَلَغَهُ عَلَى عَادَةِ الْمَصْنُوفِينَ فِي التَّرَاجُمِ؛ وَفِيهِ فَايِدَةٌ؛ إِذْ نَجِدُ أَنَّ الْمَالِكِيَّ اسْتَحْدَمَ "رَوَى" فِي غَيْرِ الْإِحْتِمَالَيْنِ السَّابِقَيْنِ؛ وَالشَّوَاهِدُ مَوْجُودَةٌ فِي الْجَدُولِ السَّابِقِ؛ أَيْنَ يَقُولُ: "رَوَى عَنْ مَالِكٍ" دُونَ إِضَافَةِ عَلَى الْكَلَامِ؛ وَلَيْسَ مَرْجِعُ الْأَمْرِ إِلَى زَمَنِ أَوْ مَرَحَلَةٍ غَابَتْ فِيهَا الدَّقَّةُ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَصْطَلَحِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَشْمُلُ مَصْطَلَحَاتِ الْمُحَدِّثِينَ؛ بَلْ فِي ذَلِكَ مُصْطَلَحَاتُ الرِّوَايَةِ؛ وَنَذْكُرُ هُنَا شَاهِدًا يَعُودُ إِلَى زَمَنِ يَسْبِقُ زَمَنَ الْمُؤَلَّفِ؛ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي الْعَرَبِ: "وَلَقَدْ حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: لَمَّا فَرَعْتُ مِنْ قِرَاءَةِ كُتُبِ ابْنِ وَهْبٍ عَلَى عَوْنٍ، قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، كَيْفَ كَانَ سَمَاعُكَ مِنْ ابْنِ وَهْبٍ؟ فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، أَقَالَ أَحَدٌ فِينَا شَيْئًا؟ ثُمَّ قَالَ لِي: وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ يُعَذِّبَ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ بِسَبْيِ

¹ المالكِيّ، مصدر سابق، 217/1.

² المصدر نفسه، 200/1.

³ المصدر نفسه، 240/1.

⁴ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بِالنَّارِ، أَبْطَلَ اللَّهُ سَعْيَهُ، وَصَوْمَهُ، وَصَلَاتَهُ، وَسَائِرَ عَمَلِهِ إِنْ كُنْتُ أَخَذْتُهَا مِنْ ابْنِ وَهْبٍ إِلَّا قِرَاءَةً، قَرَأْتُ أَنَا عَلَيْهِ، وَقَرَأَ هُوَ عَلَيَّ، وَلَوْ كَانَتْ إِجَارَةٌ لَقُلْتُ: إِنَّهَا إِجَارَةٌ، وَقَدْ حَضَرْتُ ابْنَ وَهْبٍ وَأَتَاهُ رَجُلٌ بِكُتُبِهِ فِي ثَلَاثِينَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، هَذِهِ كُتُبُكَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ وَهْبٍ: صَحَّحْتَ وَقَابَلْتَ؟ فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ: أَذْهَبَ فَحَدَّثَ بِهَا، فَقَدْ أَجَزْتُهَا لَكَ، فَإِنِّي حَضَرْتُ مَالِكًا وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ¹.

فَذَكَرَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الرِّوَايَةِ: الْإِجَارَةُ؛ وَأَنَّ مَالِكًا كَانَ يُجِيرُهُ؛ فَقَدْ كَانَتْ الْأَنْوَاعُ مُتَدَاوِلَةً بَيْنَ الْمُصَنِّفِينَ فِي هَذَا الْفَنِّ قَبْلَ الْقَرْنِ الْخَامِسِ.

إِذْنِ نَعُودُ إِلَى الْعِبَارَةِ الَّتِي أَشْرَتْ إِلَيْهَا قَبْلَ نَقْلِ الشَّاهِدِ؛ وَبِأَنَّ فِيهَا فَائِدَةً؛ فَهَذَا مَحَلُّهَا؛ ذَلِكَ أَنَّ الْمَالِكِيَّ نَقَلَ كُلَّ مَا بَلَغَهُ عَلَى عَادَةِ الْمُصَنِّفِينَ فِي التَّرَاجِمِ؛ كَذَلِكَ هُنَا؛ فَقَدْ نَقَلَ مَا بَلَغَهُ عِلْمُهُ عَنْ هَذَا الَّذِي تَرَجَمَ لَهُ؛ أَيْ لَا عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ وَالتَّحْدِيدِ. وَهَذِهِ مَحَاوِلَةٌ لِتَدْقِيقِ الْفَرْقِ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَصْطَلَحِ عِنْدَ صَاحِبِ الْمَدُونَةِ الْمَدْرُوسَةِ؛ وَلَعَلَّ مَا ذُكِرَ مِنْ ذَلِكَ كَانَ تَمْهِيدًا لِلْقَوْلِ فِي مَسْأَلَةٍ انْطَلَقَتْ مِنْهَا فِكْرَةُ الْبَحْثِ؛ هِيَ: هَلْ قَوْلُ الْمَالِكِيِّ: "سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ" يَشْمُلُ سَمَاعَ الْمَوْطَأِ؟.

5. هَلْ عِبَارَةُ "سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ" تَشْمُلُ سَمَاعَ الْمَوْطَأِ؟

وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مُقَيَّدَةً بِالْمَوْطَأِ؛ حَيْثُ نَجَدُ مِمَّا جَاءَ فِي الْجَدُولِ السَّابِقِ قَوْلَ صَاحِبِ الْمَدُونَةِ فِي تَرْجَمَةِ أَسَدِ بْنِ الْفَرَاتِ: "وَسَمِعَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ زِيَادٍ الْمَوْطَأَ [...] ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَلَقِيَ مَالِكًا وَوَاطَبَ عَلَيْهِ وَطَلَبَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ؛ وَسَمِعَ مِنْهُ الْمَوْطَأَ" — وَقَدْ سَبَقَ فِي الْجَدُولِ الْإِحْصَائِيِّ —؛ فَتَحَدَّدَ السَّمَاعُ بِسَمَاعِ الْمَوْطَأِ، وَكَذَلِكَ نَجَدُ فِي تَرْجَمَةِ عَلِيِّ بْنِ زِيَادٍ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ الْمَوْطَأَ إِلَى الْمَغْرِبِ²؛ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ عِبَارَةَ "سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ" غَيْرَ بَعِيدٍ؛ ثُمَّ فِي تَرْجَمَةِ سَحْنُونِ بْنِ سَعِيدٍ وَرَدَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ زِيَادٍ أَخَذَ الْمَوْطَأَ إِلَى بَيْتِ سَحْنُونِ لِيَسْمَعَهُ مِنْهُ؛ إِكْرَامًا لَهُ³.؛ وَهَذَا يُوضِّحُ أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَا سَمِعَ ابْنُ زِيَادٍ الْمَوْطَأَ؛ لَكِنْ إِنَّمَا اسْتَفَدْنَا ذَلِكَ مِنَ التَّصْرِيحِ بِهِ.

وَبِالْعَوْدَةِ إِلَى تَرْجَمَةِ أَسَدِ بْنِ الْفَرَاتِ؛ وَرَدَ النَّصُّ الْآتِي: "ذَكَرَ سُلَيْمَانُ بْنُ سَالِمٍ؛ صَاحِبُ سَحْنُونٍ؛ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِهِ أَنَّ أَسَدًا خَرَجَ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ؛ فَقَصَدَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ سَمَاعِهِ مِنْهُ؛ قَالَ لَهُ: «زِدْنِي يَا عَبْدَ اللَّهِ سَمَاعًا مِنْكَ» — وَكَأَنَّهُ اسْتَقْلَلَ بِالْمَوْطَأِ؛ فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: «حَسْبُكَ مَا لِلنَّاسِ». وَكَانَ مَالِكٌ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ كَتَبَهَا أَصْحَابُهُ؛ فَيَصِيرُ لِكُلِّ مِنْهُمْ سَمَاعٌ؛ مِثْلُ سَمَاعِ ابْنِ الْقَاسِمِ⁴، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ بِرِوَايَاتٍ أُخْرَى تُخْتَلِفُ عَنْ هَذِهِ⁵؛ فَإِنْ صَحَّحَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ؛ فَإِنَّ قَوْلَ صَاحِبِ سَحْنُونٍ: "فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ سَمَاعِهِ مِنْهُ" يَفِيدُ أَنَّ هُنَاكَ سَمَاعًا مَعْرُوفًا هُوَ أَوَّلُ مَا يُسَمَعُ عَنْ مَالِكٍ؛ ثُمَّ أَكَّدَ قَوْلُهُ: "وَكَأَنَّهُ اسْتَقْلَلَ بِالْمَوْطَأِ" أَنَّ هَذَا الْمَسْمُوعَ هُوَ الْمَوْطَأُ، ثُمَّ إِنَّ إِبْرَادَ قَوْلِ مَالِكٍ: «حَسْبُكَ مَا لِلنَّاسِ» مُؤَكِّدٌ آخَرُ؛ إِذْ إِنَّ مَا

¹ المالكِي، المصدر السابق، 387/1.

² المصدر نفسه، 234/1.

³ المصدر نفسه، 350/1.

⁴ المصدر نفسه، 256/1.

⁵ يُنْظَرُ: الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 256/1_257.

عِنْدَ النَّاسِ هُوَ الْمُوطَأُ؛ ثُمَّ يَسْتَزِيدُ مَنْ أَرَادَ؛ بِالْمُلَازِمَةِ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: "كَانَ مَالِكٌ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ كَتَبَهَا أَصْحَابُهُ؛ فَيَصِيرُ لِكُلِّ مِنْهُمْ سَمَاعٌ؛ مِثْلُ سَمَاعِ ابْنِ الْقَاسِمِ".

إِذَنْ؛ إِنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ تُنْبِئُ عَمَّا كَانَ مَعْرُوفًا مِنْ حَالِ تَنْظِيمِ السَّمَاعَاتِ عِنْدَ مَالِكٍ؛ وَهِيَ تُوضِّحُ أَنَّ "سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ" فِعْلًا تَشْمُلُ سَمَاعَ الْمُوطَأِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يُسَمَعُ مِنْهُ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالسَّمَاعِ عِنْدَ النَّاسِ.

وَلِذَلِكَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفَسِّرَ مَا جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي خَارِجَةَ عَنبَسَةَ بْنِ خَارِجَةَ الْعَافِقِيِّ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْ أَبِي الْعَرَبِ مِنْ قَوْلِهِ: "لَهُ سَمَاعٌ مِنْ مَالِكٍ وَمِنْ الثَّوْرِيِّ"¹.

فَهُوَ سَمَاعٌ مَا سُئِلَ عَنْهُ مَالِكٌ؛ وَتَقَرُّدُ كُلِّ وَاحِدٍ بِسَمَاعٍ دَلَالَةٌ عَلَى تَفَاوُتِ أَصْحَابِ مَالِكٍ فِي السَّمَاعِ.

6. خاتمة:

اسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ الْارْتِبَاطَ بَيْنَ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَعِلْمِ التَّرَاوُجِ، وَدَوَّرَ اللَّغَةَ الْإِصْطِلَاحِيَّةَ فِي كِتَابِ رِيَاضِ النَّفُوسِ، وَوَصَلَتْ إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ النَّتَائِجِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُسَهِّمَ فِي خِدْمَةِ مُوطَأِ مَالِكٍ وَالبَحْثِ فِي الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَمُومًا؛ أَهْمُهَا:

- بَيَّنَّ الْبَحْثُ أَنَّ اسْتِخْدَامَ الْمَالِكِيِّ عِبَارَةً "سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ" تَشْمُلُ سَمَاعَ الْمُوطَأِ، فَهَذَا وَجْهٌ دَالٌّ عَلَى سَمَاعِهِ.
- تَخَضَّعَ السَّمَاعَاتُ إِلَى بَرْنَامِجٍ وَتَنْظِيمٍ يُحَدِّدُهُ الشَّيْخُ، وَأَوَّلُ سَمَاعَاتِ مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ الْمُوطَأِ.
- قَوْلُ الْمَالِكِيِّ "لَهُ سَمَاعٌ مِنْ مَالِكٍ" يُرَادُ بِهَا سَمَاعٌ أَجَوِبَةٌ مَالِكٍ عَمَّا سُئِلَ عَنْهُ؛ وَهِيَ تُفِيدُ تَفَاوُتَ السَّمَاعِ عَنْهُ.
- جَاءَ فِي الْبَحْثِ أَنَّ "رَوَى عَنْ" أَعَمُّ مِنْ "سَمِعَ مِنْ"، وَقَدْ وَرَدَتْ عِبَارَةُ "رَوَى عَنْ مَالِكٍ" فِي حَالَةِ وُجُودِ احْتِمَالٍ أَوْ شَكٍّ فِي الرِّوَايَةِ، وَحِينَمَا يَكُونُ فِي النَّصِّ مَا يَدُلُّ عَلَى السَّمَاعِ، أَوْ حِينَ لَا تَعْلَمُ الرِّوَايَةُ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ.
- اِخْتَلَفَ النُّقَادُ فِي التَّقْدِيرِ الدَّقِيقِ لِمَفْهُومِ الطَّبَقَةِ وَطَوَّلِ زَمَنِهَا، وَقَدْ خَضَعَتْ عِنْدَ الْمَالِكِيِّ لِلتَّحْدِيدِ الْجُغَرَاوِيِّ لِكِتَابِهِ وَفَقًا لِمَا يُظْهِرُ الْعُنْوَانُ؛ فَبَدَأَ بِطَبَقَةِ التَّابِعِينَ لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ حَقَّقَ شُرُوطَ الطَّبَقَةِ فِي إفْرِيقِيَّةِ وَالْقَيْرَوَانِ.
- يَحْرِصُ الْمَالِكِيُّ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْأَصْنَافِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ عَلَى الْإِفْتِتَاحِ بِمَا يُنَاسِبُهَا نَحْوُ الْإِبْتِدَاءِ بِالصَّحْبَةِ فِي صِنْفِ الصَّحَابَةِ، وَالرِّوَايَةِ فِي صِنْفِ الطَّبَقَاتِ، وَهَكَذَا.

- لَمْ تَخْتَلِفِ الْمَلَامِخُ الْعَامَّةُ لِتَرَاوُجِ الْكِتَابِ عَنْهَا فِي كُتُبِ التَّرَاوُجِ الْأُخْرَى؛ غَيْرَ أَنَّهَا أَهْرَزَتْ انْفِرَادَ الْمَالِكِيِّ فِي:

✓ زِيَادَةُ أَسْمَاءٍ لَمْ يُتَرَجَمَ لَهَا مِنْ قَبْلُ.

✓ إِثْرَاءُ تَرْجِمَاتٍ شَحَّتْ فِيهَا الْمَادَّةُ فِي الْمَصَادِرِ الْأُخْرَى.

✓ طَبِيعَةُ التَّرَاوُجِ؛ كَوْنُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَخَالِيَّةٌ مِنَ الْقَدَحِ وَالْعُلُوِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَبِذَلِكَ جَاءَتْ تَسْمِيَةُ رِيَاضِ النَّفُوسِ مُطَابِقَةً لِمَا فِي الْكِتَابِ.

¹ المالكِي، المصدر السابق، 241/1. وَوَرَدَتْ أَيْضًا فِي تَرْجَمَةِ أُخْرَى: "لَهُ سَمَاعٌ مِنَ الْبَهْلُولِ وَغَيْرِهِ". الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 393/1. وَفِي أُخْرَى: "كَانَ لَهُ سَمَاعٌ". الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 10/2.

7. قائمة المصادر والمراجع

- 1 - أحمد بن محمد الأدنه وي، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ/1997م.
- 2 - أحمد بن محمد النيسابوري الميذاني أبو الفضل، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1374هـ/1955م، ج1.
- 3 - أسعد سالم تيم، علم طبقات محدثين أهميته وفوائده، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1415هـ/1994م.
- 4 - الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت.
- 5 - الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت، ج1.
- 6 - زين الدين زكريا بن محمد بن زكريا أبي يحيى القاضي الأنصاري السنيكي، فتح الباقي بشرح الفية العراقي، تح: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ/2002م، ج1.
- 7 - زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي أبو الفضل، الفية العراقي، تح: العربي الدائر الفرياطي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1428هـ.
- 8 - سيد عبد الماجد الغوري، معجم المصطلحات الحديثية، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م.
- 9 - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي:
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، ج26.
- سير أعلام النبلاء، تح: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون ساغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1402هـ/1982م، ج3، ج15، ج16.
- 10 - شهاب الدين أبو عبد الله الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ج2.
- 11 - عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدبأغ أبو زيد، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، د.ط، 1978م، ج3.
- 12 - عبد الرحمن جلال الدين الشيوطي أبو بكر، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح: أبو فتية نظر محمد الفارابي، مكتبة الكوثر، الرياض، ط2، 1415هـ، ج2.
- 13 - عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي أبو سعد، أدب الإملاء والاستملاء، تح: أحمد محمد عبد الرحمن محمد محمود، مطبعة المحمودية، ط1، 1414هـ/1993م، ج1.

- 14 - عبد الله بن محمد المالكي أبو بكر، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسألكهم وسير من أخبارهم وفصائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ/1994م.
- 15 - عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط4، د.ت.
- 16 - عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى القاضي اليحصبي السبتي أبو الفضل، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1389هـ/1970م.
- 17 - فرانز روزنتال، التأريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1403هـ/1983م.
- 18 - محمد بن إبراهيم الوزير: المختصر في علوم الحديث، تح: أبو محمد عبد الله بن لمح الحولاني، دار الإمام أحمد، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1436هـ/2011م.
- 19 - محمد بن أحمد الأزهرى الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، تح: محمد علي النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، د.ت، ج2.
- 20 - محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ج1.
- 21 - محمد بن علي بن قاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ج2.
- 22 - محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ج1.
- 23 - محمد بن موسى الشريف، رضى القدوس تهذيب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، دار أبحاث حنين، جدة، ط1، 1435هـ/2014م.
- 24 - محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت.
- 25 - محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ/1985م، ج4.
- 26 - محمود بن عمر الزمخشري أبو القاسم جابر الله، المستقصى في أمثال العرب، مطبعة مجلس المعارف، حيدر آباد، الهند، ط1، 1381هـ/1962م، ج1.